

تفسير ابن كثير

سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا تَتَّبِعُكُمْ ^ط يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ^ج قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ ^ط فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ^ج بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا

يقول تعالى مخبرا عن الأعراب الذين تخلفوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة الحديبية ، إذ ذهب النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى خيبر يفتتحونها : أنهم يسألون أن يخرجوا معهم إلى المغنم ، وقد تخلفوا عن وقت محاربة الأعداء ومجالدتهم ومصابرتهم ، فأمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - ألا يأذن لهم في ذلك ، معاقبة لهم من جنس ذنبهم . فإن الله تعالى قد وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم لا يشركهم فيها غيرهم من الأعراب المتخلفين ، فلا يقع غير ذلك شرعا وقدرًا ؛ ولهذا قال : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) قال مجاهد ، وقتادة ، وجوير : وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية . واختاره ابن جرير . وقال ابن زيد : هو قوله : (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول

مرة فاقعدوا مع الخالفين) [التوبة : 83] .وهذا الذي قاله ابن زيد فيه نظر ; لأن هذه الآية التي في " براءة " نزلت في غزوة تبوك ، وهي متأخرة عن غزوة الحديبية .وقال ابن جريج : (يريدون أن يبدلوا كلام الله) يعني : بتثيبتهم المسلمين عن الجهاد .(قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) أي : وعد الله أهل الحديبية قبل سؤالكم الخروج معهم ، (فسيقولون بل تحسدونا) أي : أن نشرركم في المغانم ، (بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا) أي : ليس الأمر كما زعموا ، ولكن لا فهم لهم .